عمن تكون أمه ويتجه شك « فكرى أفندى » – مأمور الزراعة – إلى طائفة عمال الترحيلة التى تأتى إلى التفتيش كل عام من مختلف البلاد لتنقية القطن من الدودة . ولكن تحريات مأمور الزراعة ، وتحريات رجال الشرطة ، لا تسفر عن وجود الجانية بين أفراد هذه الطائفة . ومن هنا يساور الشك جميع النفوس ، لا فرق بين كبار القرية مثل فكرى أفندى ومسيحة أفندى الباشكاتب ، وصغارها كمحبوب موزع رسائل البريد الذى يسخر منه الناس لضآلته ، ويسألونه كيف يعاشر زوجته التى تشبه الفيل ضخامة ! ! وينهش الشك هذه الصدور أن يكون هذا الجنين ثمرة إثم وقع فى بيته ! . وتزداد وساوس مسيحة أفندى لأن ابنته الوحيدة « لندا » كانت تعانى من مغص فى ذلك اليوم . وهكذا يكتشف كل شخص فى القرية أن الطمأنينة التى كان يخيل إليه أنه ينعم بها ليست فى الحقيقة سوى وهم . وفى فترة الشك هذه يظهر لنا الجزء الغامض فى حياة « التفتيش » ، الجزء المتوارى عن وعى الناس ، مع أنه الأكثر تأثيراً فى مشاعرهم وحياتهم . فيكتشف محبوب ساعى البريد أنه كان يحمل – دون أن يدرى – رسائل غرام كانت ترسلها زوجته إلى عشيقها فى طنطا . ويحاول صفوت بن فكرى أن يتصل بلندا التى كان يحبها ، ويوسط لذلك صديقه الشاب « أحمد سلطان » ، الفتى الجميل المكتمل الرجولة ، فيكون ذلك سبباً فى قيام علاقة بين أحمد سلطان « ولندا » بواسطة القوادة أم إبراهيم . وفى ثنايا ذلك كله نرى نواحى حياة التفتيش فى طبقاتها المختلفة ، وبخاصة بؤس هؤلاء العمال ، عمال الترحيلة ، ومختلف العلاقات التى تصل ما بين هؤلاء البائسين والآخرين من الناس ، ويبلغ هذا البؤس مدى تصويره حين يكتشف فكرى – بمحض المصادفة – أن تلك الفتاة الآثمة من بين أفراد تلك الفئة ، واسمها عزيزة ، فنرى كيف اقترفت الإثم بدافع ظروف قاسية ، وكيف وضعت جنينها ، وكيف قتلته ، ثم كيف ماتت فى